* الحديث 6 *

قَالَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ يَحْيَى - رَحِمَهُ اللهُ -: وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنْ عَمِّهِ أَبِي سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - كَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى - رضي الله عنه - أَنْ صَلِّ الظُّهْرَ إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ، وَالْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ نَقِيَّةٌ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا صُفْرَةٌ، وَالْمَغْرِبَ إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَأَخِّرِ الْعِشَاءَ مَا لَمْ تَنَمْ، وَصَلِّ الصُّبْحَ وَالنُّجُومُ بَادِيَةٌ مُشْتَبِكَةٌ، وَاقْرَأْ فِيهَا بِسُورَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ مِنَ الْمُفَصَّلِ.

قال - رحمه الله -: وحدّثني عن مالك عن عمّه أبي سُهيل.

(عمّه): الضمير يعود فيه إلى الإمام مالك.

أبو سُهيل هذا هو عمّ الإمام مالك، واسمه نافع بنُ مالك ابنِ أبي عامر.

أحد ثِقاة أهل المدينة، وأحد قُرّائهم، وكان يكتب المصاحف، وربّما استفتاه عمر بن عبد العزيز بين المرّة والأخرى.

ولم أظفر له بسنة وفاة، لكن أدرك دولة بني العبّاس، ومات في عهد أوّل خلفائهم أبي العبّاس السّفّاح.

وقد قدّر الذهبيّ - رحمه الله - أن يكون مكث إلى قريب من ثلاثين ومائة (130هـ).

نعم.

(عن أبيه)، أبي أبي سُهيل، وهو مالك بن أبي عامر الأَصبَحيُّ، وهو جدُّ الإمام مالك.

ومالك هذا، أعني مالك بن أبي عامر الأَصبَحيَّ هو أحد ثقاة التّابعين، من المحدّثين، ومن القُرّاء، كان يكتب المصاحف أيضا، وقرأ القرآن في زمن عثمان، وكان من أصحاب عمر ومن أصحاب عثمان.

وقد روى أبو نُعيم في معرفة الصّحابة عن الإمام مالك أنّ جدّه مالكا هذا كان في النّفر الّذين ذهبوا ليلا بعد مقتل عثمان فحملوا جثّته - رضي الله عنه - ودفنوها.

نعم.

أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - كَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى.

أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بنِ سُليم بنِ حَضّار الأشعري، الصّحابي، المشهور، الفقيه المقرئ.

مشهور - رضي الله عنه - باسمه عبد الله بن قيس، وبكنيته أبي موسى الأشعري.

أسلم قديما ورجع إلى قومه، ثمّ قدِم على النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - بعد ذلك، بعد غزوة خيبر، فلقِيَتْ سفينتُه سفينةَ جعفر بن أبي الطالب القادمة من الحبشة فالتقوا جميعا عند النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - وذلك عقِب غزوة خيبر.

وولاّه النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - على بعض اليمن، فولاّه على زَبيد، وعلى عَدَن.

واستعمله أيضا عمر بن الخطاب على البصرة.

وولاّه عثمان على الكوفة.

وكان حسن الصّوت.

فقد قال له رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - في الحديث الذي رواه الشيخان: **«يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود»**.

وكان عمر - رضي الله عنه - إذا لقِيَه يقول له: **يا أبا موسى شوِّقْنا إلى ربِّنا**، فيجلس عنده ويقرأ عنده القرآن.

وبه تفقّه أهل البصرة.

فقد قال الحسن البصريُّ: ما دخل أحدٌ خيرٌ لأهل مِن أبي موسى الأشعري.

وقد دعا له النّبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بالمغفرة.

فقد روى الشيخان عنه ـ رضي الله عنه ـ أن النّبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال: «**اللّهمّ اغفر لعبد الله بن قيس ذنْبَه، وأدخِله يوم القيامة مُدخلا كريما**».

وروى الحاكم في المستدرك عن عِياض الأشْجَعي قال: لـمّا نزل قول الله تعالى: {فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ}[1] قال النّبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: «**هم قومك يا أبا موسى**»، وأومأ النّبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بيده إلى أبي موسى الأشعري.

ولـمّا تقدّم به العُمُر كان شديد الاجتهاد في العبادة، حتّى أن النّاس ربّما لاموه على ذلك وأمروه بأن يرفُق بنفسه فكان يقول لهم، يجيبهم: **إنّ الخيل إذا أُرسِلَتْ فبلغتْ رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها، وإنّ الّذي بقي في أجلي أقلّ من ذلك.**

ومات ـ رحمه الله ـ.

اختُلِف في سنة وفاته على أقوال كثيرة، ممتدّة بين سنتي اثنتين وأربعين واثنتين وخمسين.

وأبو موسى الأشعري ـ رحمه الله ورضي عنه ـ اسمه مرتبط بحدث من الأحداث العُظمى في التّاريخ الإسلامي.

هذا الحدث هو **مسألة التّحكيم**، المشهورة.

وهذه المسألة موضع وجد فيه المستشرقون مَرْتَعا، فرتعوا فيه وما شاءوا، وقالوا ما شاءوا، وأبطلوا ما شاءوا.

وتلقّف ذلك عنهم بعض العرب، من المسلمين ومن غير المسلمين.

وروّجوا للأباطيل، وللأكاذيب، ونسبوا إلى أبي موسى وإلى عمرو بن العاص وإلى عليّ بن أبي طالب وإلى ابن عبّاس أمورا لم تُخلق ولم تكُنِ، كالغول والعنقاء وهذه الأمور التي تقول العرب: أسماء أشياء لم تُخلق ولم تكُنِ.

مثل ذلك هذا الذي روّجه أولئك عن هؤلاء الصّفوة.

لا بدّ أن أذكر لم شيئا عن هذا:

اعلموا ـ أوّلا ـ أنّ بعد موقِعة صِفِّين، وهذه الموقِعة التي جمعت جيش العراق تحت راية علي بن أبي طالب ومن معه من الصّحابة، وجيشَ أهل الشّام تحت راية معاوية بن أبي سفيان وعمرو بنِ العاص وغيرِهما من الصّحابة.

اجتمعوا في صِفِّين فكانت موقِعة يؤسَف لها.

فلمّا كثُر القتلى، ورأى جُنْدُ الشّام كثرة قتلى المسلمين رفعوا المصاحف على رؤوس الأسِنّة، ونادَوْا بالتّحاكم إلى تلك المصاحف، فوافقهم على ذلك أهل العراق، وكانت **قضية التّحكيم**.

هنا تبدأ سلسلة الأباطيل والأكاذيب، الّتي مدار جميعها على أبي مِـخْنَف، وعلى الواقدي، وعلى أضرابهم ممّن لا يُقبل حديثهم في شيء.

ماذا قيل؟

الرواية المشهورة المكذوبة الّتي مع الأسف هي المشهورة في الكتب،، وأكثر الناس يعرفونها ويجهلون مقابلها من الحقيقة.

1 ـ المائدة: 54

يقال: أنّ أهل العراق طلبوا من علي بن أبي طالب أن يكون النّائبُ عنهم، الـمُمَثِّل لهم في التّحكيم أبا موسى الأشعري.

فقال ابن عبّاس ـ فيما يزعمون ـ قال لعلي بن أبي طالب: عَلامَ تُحكِّم أبا موسى في أمرنا؟ وليس بصاحب ذلك، وقد علمت رأيه فينا، فوالله ما نصرَنا وإنّه ليرجو ما نحن فيه، ثم تُدخِله في معاقد أمورنا وليس بصاحب ذلك.

وصوّروا أبا موسى الأشعري بأنّه رجل مُغفّل، ضعيفُ الرّأي.

وصوّروا عمرو بن العاص بأنّه رجل ماكِر، مخادِع، ليتمّ لهم حبك الأكذوبة.

ثمّ لـمّا اجتمع أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص قرّروا بأن ـ هذهِ الرواية المشهور ـ قرّر بأن يخلع أبو موسى الأشعري عليَ بنَ أبي طالب من الأمر، وأن يخلع عمرو بن العاص معاويةَ بنَ أبي سفيان من الأمر وأن يكِلا الأمر إلى المسلمين ينظرون فيه نظرهم.

ويزعمون أنّ ابن عبّاس حذّر أبا موسى من مكر عمرو ابن العاص، فهذا كان مغفّلا فلم ينتبه، ولم يتفطّن لما يُساق إليه.

فقدّم عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري يتكلّم.

فقال أبو موسى: إنّني أخلع صاحبي من الأمر كما أخلع سيفي هذا من عاتِقي، وينظر المسلمون لأمرهم، وخلع سيفه من عاتِقه.

ثمّ جاء عمرو بن العاص ليتكلّم ويقول الذي اتُّفِق عليه.

فقال عمرو بن العاص: إنّ هذا خلع صاحبه كما سمعتم، وأنا أُثبِّتُ صاحبي في الأمر كما أُثبِّتُ سيفي هذا في عاتِقي، وتقلّد سيفه.

فحينئذ يزعمون أنّ أبا موسى الأشعري التفت إلى عمرو ابن العاص وقال له: إنّما مثَلُك كمثَل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركْه يلهث.

وقال عمرو بن العاص لأبي موسى: إنّما مثَلك كمثَل الحمار يحمل أسفارا.

وتفرّق النّاس.

هذه القصّة مشهورة، على النّحو الّذي ذكرتُ لكم، وما فيها: كذِبٌ صُراح.

الذي وقع، لم يقع على هذا النّحو الذي ذُكِر إطلاقا، ولا يُتصوّر في ذلك الجيل الكريم أن يصدر منه هذا.

أولئك الذين طلّقوا الدّنيا وتوابعها من أجل كلمة الله.

بعد أن كبِرت أسنانهم، وقرُبتْ آجالُـهم، يتكالبون على الدنيا!

هذه القصّة باطلة من جانبين: باطلة من جانب الأثر، من جانب نقلها، وباطلة من جانب النّظر فيها وإمعان العقل فيها، وأنا أبيّن لكم ذلك:

قبل أن أبيّن لكم ذلك، قد يقول لي قائل: كيف تزعم يا هذا أن هذه قصة باطلة؟ وقد رواها الطّبري، إمام المفسّرين وشيخ المؤرّخين، ورواها ابن سعد، ورواها ابن الأثير، ورواها ابن الجوزي؟

أقول لكم:

الطبري، وابن الأثير، وابن الجوزي، وابن سعد، وهؤلاء لم يشترطوا أن يرووا ما صحّ.

لم يشترطوا هذا حتّى يكون هذا دليلا.

إنّما رووْا كلّ ما وصلهم بأسانيدهم.

وقد قال العلاّمة الحنفي محمّد زاهد الكوثري ـ رحمه الله ـ قاعدةً صالحةً لمثل هذا.

قال: **قيمة ما يرويه الطّبري قيمة سنده.**

إذا أردت أن تعرف: هل مرويّ الطبري ذا قيمة؟ فانظر إلى ذلك السّند الذي به أبرز إليك الطبري ما أبرز.

إذا كان ذلك السند فيه المجاهيل والكذّابين فلا قيمة لما روى.

وإذا كان فيه الصّادق عن مثله، فنَعَم.

هذه الروايات كلها مدارها عند من ذكرتُ لكم وعند غيرهم على ستة أشخاص: محمّد بن عمر الواقدي، وأبو بكر ابن أبي صبرة، وابن أبي فروة، وأبو مِخْنَف لوط بن يحيى، وأبو جَناب الكَلْبي يحيى بن أبي حيّة، ومحمّد بن السائب الكَلْبي.

هؤلاء السّتّة عليهم مدار هذه الروايات.

فماذا قيل في هؤلاء؟

أمّا أوّل هؤلاء السّتّة، وهو محمّد بن عمر الواقدي:

فقد قال فيه أحمد بن حنبل: كذّاب.

وقد قال فيه البخاري: متروك الحديث.

وأمّا أبو بكر بن أبي صَبْرة:

فقد قال فيه أحمد وابن عَديّ: يضع الحديث.

يَكْذِبُه، يخلقه، يصنعه.

وأمّا ابن أبي فروة:

فقد قال فيه أبو حاتم الرّازي وأبو زرعة الرّازي: متروك الحديث.

وأمّا أبو مِخْنف لوط بن أبي يحيى:

فقد قال فيه ابن حجر: أخباريٌّ تالِف، لا يوثق به.

وقال فيه ابن عَدِي: شيعيٌّ مُحترِق.

هذه الكلمة، كلمة محترق، تدلّ على أنه غالٍ في التّشيّع.

وأمّا أبو جناب الكَلبي يحيى بن أبي حيّة:

فقد قال فيه أحمد: صاحب مناكير.

وأمّا محمّد بن السّائب الكَلبي:

فقد قال فيه الذهبيّ: صاحب مناكير ليس بثقة.

فهؤلاء هم العُمَد فيما يروى عن هذه القِصص، فكيف يُقبَل شيء رواه هؤلاء؟

وأمّا من جهة النّظر، فهي أيضا باطلة.

لماذا؟

لأنّهم صوّروا أبا موسى رجلا مغفّلا، ضعيف الرأي.

كيف يكون هذا وقد استعمله رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ؟

عيّنه واليا كما ذكرت لكم على بعض اليمن.

ثمّ بعد ذلك عيّنه عمر، استعمله على البصرة.

ثمّ بعد ذلك عيّنه عثمان على الكوفة.

فكيف يكون ضعيف الرأي، مغفّلا؟ ويُولَّى المرّة والمرّة؟

هَبْ أنه وُلِّيَ مرّة واحد، فبان ضُعفُ رأيه، وسوء تدبيره، فكيف يُعاد توليته؟

والمرّة الثانية، والمرّة الثالثة، كيف ذلك؟

هذا لا يكون.

وممّا يدلّ على ذلك، وأنّه لم يكن كما يوصف، أن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنتم تعرفون من عمر، حياطته للمسلمين، ورفقه بهم، وعنايته بشؤونهم، اختصّ عمر ـ رضي الله عنه ـ أبا موسى الأشعري بكتابه المشهور في القضاء.

لم يرسله إلى أحد إلّا إلى أبي موسى.

لو كان مغفّلا لما يبعث به إليه؟

وهذا الكتاب شرحه ابن القيم في مجلدين كبيرَيْن، مطبوعَيْن معروفَيْن.

يقول له فيه: أما بعد، فإن القضاء فريضة مُحكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أُدليَ إليك، فإنه لا ينفع تكلّمٌ بحقّ لا نفاذ له، وآسِ بين النّاس في وجهك ومجلسك وقضائك، حتّى لا ييأس ضعيف من عدلك، ولا يطمع شريف في حيفك. إلى آخر الكتاب المشهور.

فإذا كان أبو موسى الأشعري كما وُصِف، من الغفلة، وضعف الرّأي، فلماذا يختصّه عمر؟ وما أدراك ما عمر؟ لماذا يختصّه بهذا الكتاب المشهور في القضاء؟

وهل يُولّى القضاءُ الضعفاءَ وغير ذوي الرأي؟

نحن نقول في فقه المالكية:

أهل القضا عدل فإن لم يوجد مجتهد فأمثل المقلّد

فكيف يُولّى ضعيف الرأي؟

ثم قالوا: ...[1]

وقد قال فيه النّبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في الحديث الصّحيح: **«أسلم النّاس وآمن عمرو بن العاص»**.

وقال فيه في الحديث الآخر: **«ابنا العاص»** ـ يعني عمرو وأخوه ـ **«ابنا العاص مؤمنان»**.

وهم يقولون: ماكر، مخادع.

طيّب، هذا الّذي زعمتموه ماكرا مخادعا قال: أنا أُثبِت صاحبي في الأمر كما أُثبِت سيفي هذا في عاتقي.

السؤال: في أي شيء يُثبِت عمرو صاحبه؟

هذه فرية كبرى.

والعجَب ليس من افترائها، العجَبُ من انطلائها!

في أيّ شيء يُثبِت عمرو صاحبه؟

أنا أُثبِت صاحبي كما أُثبِت سيفي هذا.

فيماذا؟

في أيّ شيء تثبته؟

الذي يُتصوّر: أنّه يُثبِته في الخلافة.

وهم صوّروا لنا أن معاوية وعليا كانا رجلين يقتتلان على الخلافة.

أنا أسأل: هل معاوية كان خليفة في ذلك الوقت؟

لا.

هو كان أميرا على الشّام.

ولاّه الإمرةَ أبو بكر، وأبقاه عليها عمر، وأبقاه عليها عثمان، وكان كذلك في وقت هذه الفتن، ولم يدّعِ أنّه خليفة، ولم يدّع أحد له أنّه خليفة.

ففي أيّ شيء سيُثبته؟

أنا أُثبِت صاحبي.

في أي شيء؟

لم يدّعِ لنفسه شيئا يُثبت فيه.

بل لم يكن معاوية ـ رضي الله عنه ـ خليفة إلّا بعد مقتل علي بن أبي طالب وبعد أن تنازل الحسن بن علي ـ رضي الله عن الجميع ـ.

1 ـ هناك قص للدرس في هذا الموضع.

تنازل له وتمّ الصلح بين الطائفتين، وتحقّقت نبوءة رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في الحسن لـمّا قال ـ وقد كان صغيرا يحثو ويسقط ـ قال: «**إنّ ابني هذا سيّد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتن من المسلمين**».

إذن، حينئذ كان معاوية خليفة، وإلّا قبل ذلك فلم يكن خليفة، ولم يكن شيءٌ يُثبَتُ فيه.

فما الّذي وقع؟

الّذي وقع ممّا رُوي لنا بالأسانيد النظيفة أنّ أهل الشّام لما رأوا كثرة القتلى ـ كما ذكرت لكم ـ رفعت الصحف، المصاحف، ووافق العراقيون على الاحتكام إلى المصحف، نظر أهل العراق فرأوا أنّ أحسن من يَصلُح لهم في تمثيلهم، في التحكيم، رأوا أنّ أصلح واحد لهم هو أبو موسى الأشعري.

لماذا؟

لأنّ أبا موسى كان رافضا للقتال ابتداء.

أنتم تعلمون أنّ الصّحابة منهم من كان مع علي ـ رضي الله عنه ـ وتلك هي الفئة المصيبة.

ومنهم من كان مع معاوية، وتلك فئة متأوِّلة معذورة.

ومنهم من اعتزل الفتنة، وهؤلاء منهم عبد الله بن عمر، ومنهم سعد بن أبي وقاص، ومنهم محمد بن مسلمة، ومنهم أبو موسى الأشعري.

لـمّا قامت الفتنة ولما قام يتأهب الجيشان للاجتماع جاء دعاة علي ـ رضي الله عنه ـ إلى الكوفة، وكان أبو موسى حينئذ أميرا عليها.

جاءوا ليستنفروا النّاس للانضمام إلى جيش علي بن أبي طالب.

فكان أبو موسى حينئذ يقوم في النّاس حينئذ خطيبا، يحذّر الناس من الانضمام إلى الطائفتين، ويذكّرهم بقول رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في الفتنة: «**القاعد فيها خير من القائم**».

ويذكّرهم بقول رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في الفتنة: «**كسّروا قِسِيّكم، وقطِّعوا أوتاركم، والزموا أجواف البيوت، وكونوا فيها كالخيّر من ابنَيْ آدم**».

وكان يقوم فيهم خطيبا يقول لهم: إنّ هذه الفتنة فتنة باقِرة كَدَاءِ البطن، يصير الحليم فيها كأنّما وُلِد أمس.

فبينما هو يخطب الناس في المسجد جاء الأشترُ النَّخعي، مالك بن الحارث أحد القادة في جيش علي فدخل دار الإمارة، فلمّا أراد أبو موسى ـ رضي الله عنه ـ أن يعود إلى دار الإمارة قال له الأشتر: اعتزل إمارتنا فلا حاجة لنا فيك.

فاعتزلهم في قرية، بعيدا معتزلا عن الفتن.

فلمّا كثُرت القتلى رأى أهل العراق أنّ أبا موسى كان ناصحا للمسلمين، لـمّا أرادهم ألاّ يدخلوا في الفتنة أصلا، فطالبوا أن يكون هو النائبَ عنهم، وجيء به من قريته.

واجتمع مع عمرو بن العاص واتّفقا على أن يسند الحكم في هذه المسألة، في هذا الخلاف، إلى النفر الذين مات رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وهو عنهم راض، وتفرّقوا على ذلك.

وكان ما كان، من خروج الخوارج على عليٍّ بعد ذلك وقتله ـ رضي الله عنه ـ، ولم يتمّ تنفيذ ذلك الصلح، الّذي كان.

وهذا الّذي قلتُ لكم يذكره لنا التاريخ بالأسانيد الصّحيحة إلى تلك الفترة.

واعلموا أنّ المتكلّم في هذا الشّأن ينبغي أن يتكلّم عنه بعلم وبدين.

بعلم: بهذه الطّريقة التي ذكرتُ لكم. أن لا ينسُب إلى قوم ما لم يقولوا وما لم يفعلوا.

أيُّنا يحبّ أن يُنسَب إليه من البواقع ومن المصائب ما هو منه براء؟

لا أحد. ولو كان مِن السِّفْلة، ولو كان من الطَّغَام، ولو كان من السُّوقة.

فثبِّتْ أنّني قلتُ ثمّ انسُب إليّ، وثبّت أنّني فعلتُ ثمّ انسُب إليّ.

ينبغي أن يستعمل المؤرّخ، أو المتكلّم في علم الاجتماع الذي يريد أن يثير أحداث تلك الأزمنة، يجب عليه أن يعرضها على ذلك المنهج الذي ابتكره المسلمون وحُسِدوا عليه.

هذا المنهج، منهج تثبيت الأقوال إلى قائلها.

هذا هو الكلام فيها بعلم.

أمّا الكلام فيها بدين:

فينبغي أن يُعلم أنّ الصحابة قوم رضي الله عنهم وفُرِغ من أمرهم.

الصّحابة قوم ـ رضي الله عنهم، فلا سبيل إلى ثلبهم ولا إلى تنقيصهم.

ولذلك كان العلماء ممّا يربّون عليه النّاس: تعظيم قدر الصّحابة.

حتّى ترون من بقايا ذلك في المغرب أنّ العامّي لا يذكر الفرد من أفراد الصّحابة إلا بقول: سيّدنا.

سيدنا أبو بكر، سيدنا عمر، سيدنا علي، سيدنا عثمان، سيدنا كذا، سيدنا كذا.

لماذا هذا كلمة: سيّدنا؟

لما استقرّ في قلوبهم من تعظيم جنس الصحابة.

هؤلاء العوامّ.

لتربية العلماء لهم على ذلك.

قال ربّنا: {وَالسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ}[1].

وقال ربّنا ـ سبحانه ـ: {لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُومِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً}[2].

وقال ربّنا ـ سبحانه ـ: {لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰناً وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُوثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ

1 ـ التوبة: 100

2 ـ الفتح: 18

بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾}[1].

وقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في الحديث رواه الشّيخان: «**لا تسبّوا أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل أُحُد ذهبا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**».

ولهذا أدخل العلماء هذه المسألة فيما ينبغي على المسلم اعتقادُه.

مسألة من التّاريخ ، لكن حيث كانت مرتبطة بذلك الجيل الكريم الّذين هم بابنا إلى الشّرع، فإنّه لم يصلنا إلا منهم، قرآنا كان أو سُنّة، أدخلوا في كتبهم الّتي يصنّفونها للطّلبة وللعوامّ وللنّاس، أدخلوا فيها هذه المسألة.

مِن أوّل أولائك: ابن أبي زيد القيرواني المالكي، يقول في مقدّمته في الرّسالة، في باب ما ينبغي اعتقاده: **والإمساك عمّا شجر بينهم ولا يُذكَروا إلا بخير، فإنّهم أحقّ النّاس بأن يُلتَمس لهم أحسن المخارج ويُظنّ بهم أحسن المذاهب.**

وقد نظم ذلك الشيخ عبد الله بن الشيخ ـ رحمه الله ـ المالكي بقوله:

وأفضل القرون قرن المصطفى
من آمنوا فمَن قفا فمن قفا
وأفضل الأمّة أتباع النبي
الخلفاء الراشدون من أبي
بكر يليه عمر ثم يلي
عثمان فالتاليه في الفضل علي
ولا يجوز ذكر شخص مقتني
صحبته إلا بذكر حسن
ويجب الإمساك عمّا شجرا
بينهمُ فهم أحقّ أن يُرى
أحسنُ مخرج لهم وأن يُظنّ
أحسنُ مذهب بهم فهو الحسن

وقال الشيخ أحمد بن المرابط المالكي في منظومته التي ألّفها في الاعتقال، قال:

وما قد جرى بين الصحابة كله
يكون عن التأويل لا عن تعمّد
قد اجتهدوا فيه فأجران للّذي
أصاب ومن أخطا فله الأجر أفردِ
ولا تَغْنِهم إلا بخير فإنهم
إليهم تناهى كل فضل وسُؤدَدِ
فقد رضي الرحمن عنهم وعنه قد
رضوا فالرضى عنهم على كل مقتد

وقال الشيخ محمد سالم بن عبد الودود المالكي ـ رحمه الله ـ في نظمه للجامع المنسوب إلى الشيخ خليل، قال:

موفِّقا معتقدا لفضل
قرن محمد إمام الرسْل
عليه أنمى صلوات ربّه
ممن رآه وانتمى لحزبه
ثم الألى يلونهم
ثم الألى يلونهم

1 ـ الحشر: 8، 10

موقرا مبجّلا أصحابه مقدّما لأربعه
مفضّلا من كان في الغار معه
ثم بترتيب التولّي الخيرة
فسائر العشرة المبشّرة
فأهل بدر وهم يلتمسُ
حسن المخارج بدون ظن سو
لكن يظن أحسن المذاهب
بهم ولا يحل ذكر صاحب
إلا بالاحسن وفي الردة مرْ
حكم الذي كفّر أو سبّ النفرْ

وقال الشيخ المقّري المغربيّ المالكيّ الأشعري في منظومته الّتي نظمها في العقائد، هي تربو على خمسمائة بيت، سماها إضاءة الدُّجُنّة في عقائد أهل السُّنّة، يقول في الكلام عن هذه الحيثية:

والصَّحْبُ كُلُّهُم عُدُولٌ خِيَرَهْ
فمَن يُرِد وَجْهَ اهتِدًا بِهِم يَرَهْ
فإنَّ مَن أَحَاطَ بِالخَبِيِّ
عِلمًا حَبَاهُم صُحبَةَ النَّبِيِّ

الذي أحاط بالخبيّ علما: الله ـ تعالى ـ

....

....حَبَاهُم صُحبَةَ النَّبِيِّ
فهُم نُجُومٌ فِي السُّرَى مَن اقتَدَى
بِهِم إلى مَعَالِمِ الحَقِّ اهْتَدَى
وَلاَ تَخُض فِيمَا مِنَ الأَمْرِ اخْتَلَطْ
بَينَهُم واحْذَر إِذَا خُضْتَ الغَلَطْ
والْتَمِسَنْ أَحْسَنَ المَخَارِجِ
لَهُم فَالِاجتِهَادُ ذُو مَعَارِجِ

وهؤلاء الذين ذكرتُ لكم جميعا مالكية، وهذا القول لم ينفردوا به، فإنّ باقي العلماء أيضا يقولون مثلما قالوا.

هذا السّفاري الحنبلي يقول في عقيدته في هذه المسألة:

وليس في الأمة كالصحابةِ
في الفضل والمعروف والإصابةِ
لأنهم شاهدوا المختارَ
وعاينوا الأسرار والأنوارَ
وجاهدوا في الله حتى بانا
دين الهدى وقد سما الأديانَ
وقد أتى في محكم التنزيلِ
من فضلهم ما يشفي للغليلِ
وفي الأحاديث وفي الآثارِ
وفي كلام القوم والأشعارِ
ما قد ربا من أن يحيط نظمي
عن بعضه فاقنع وخذ من علمِ
واحذر من الخوض الذي قد يزري
بفضلهم مما جرى لو تدري
فإنه عن اجتهاد قد صدرْ
فاسلم أذلّ الله من لهم هجرْ

وقال الطحاويّ الحنفيّ في عقيدته: **ونحبّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ولا نفرط في حب أحد منهم. ولا نتبرّأ من أحد منهم. ونُبغض من يُبغضهم. وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير.**

فأنتم ترون أنّ هذه المسألة أدخلها العلماء فيما ينبغي على النّاس اعتقادُه، لأنّ الصحابة تربية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

نعم.

أَنْ صَلِّ الظُّهْرَ إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ.

زاغت: يعني مالت.

كلّ شيء مال وانحاز عن الاعتدال تقول العرب: قد زاغ.

ومن ذلك قول ربّنا ـ سبحانه ـ: {فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ}[1].

هنا عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول لأبي موسى (**صَلِّ الظُّهْرَ إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ**).

لم يأمره بأن ينتظر ربع القامة حتّى يصير الفيء ذراعا.

ظاهر هذا قد يعارض كتابه إلى عمّاله الّذي تقدّم لنا.

وللجمع بينهما فرّق المالكية هذا التّفريق الذي ذكرتُ لكم: أنّ المصلي: منفرد، وجماعة.

فالمنفرد، عليه حُمِل كتاب عمر إلى أبي موسى، أن صلّ الظهر إذا زاغت ولا تنتظر.

والجماعة، عليه حُمل كتاب عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى عمّاله، أنْ صلّ الظّهر حتّى يكون الفيء ذراعا.

1 ـ الصف: 5

وبهذا يلتئم قولا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

نعم.

وَالْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ نَقِيَّةٌ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا صُفْرَةٌ.

وصلّ العصر والشمسُ بيضاء نقيّة.

قبل أن يدخلها صفرة: هذا بيان لمعنى نقاوتها.

(**وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ نَقِيَّةٌ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا صُفْرَةٌ**).

أين تظهر الصُّفرة؟

عندنا وعند الجمهور: تظهر على الجدران وعلى البيوت.

يعني: إذا ظهر صُفرةُ الشمس على الجدران وعلى البيوت فحينئذ قد دخل الشمسَ صُفرةٌ.

هذا عند المالكية وعند غيرهم.

عند الأحناف: يرون أنّ الشّمس يدخلها الصُّفرة إذا اصفرّ قرصُها.

وهذا يكون بعد أن يظهر الاصفرار على الجدران.

وهذا معناه أنّ آخر وقت العصر المختار هو هذا.

آخر وقت العصر لأصحاب السَّعة والاختيار قبل أن تصفرّ الشّمس ويشوبها تلك الصُّفرة.

أما وقتها الاضطراري فهو الّذي سبق لنا: **من أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشّمس فقد أدرك العصر.**

نعم.

وَالْـمَغْرِبَ إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ.

وهذا أيضا مثل ما تقدّم (**وَالْـمَغْرِبَ إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ**) مبادرا بها، فكأنّه يرى أنّ وقت المغرب وقتٌ ضيّق، وسيأتي الكلام على وقتها الآخر ـ إن شاء الله ـ.

وَأَخِّرْ الْعِشَاءَ مَا لَمْ تَنَمْ.

ابن حبيب من المالكية رأى أنّ هذا الأمر من عمر بن الخطّاب إلى أبي موسى في خصوص نفسه.

كأنّ عمر ـ رضي الله عنه ـ أمر أبا موسى أن يؤخّر صلاة العشاء عن وقتها في المساجد.

فإنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ كان يحبّ أن تؤخّر صلاةُ العشاء.

وهذا للمنفرد مطلوب، وللجماعة أيضا إذا لم يشُقّ ذلك عليهم.

مطلوب أن تُؤخَّر العشاءُ ما لم يخش الإنسان أن يدركه النّوم ولـمّا يصل.

نعم.

وَصَلِّ الصُّبْحَ وَالنُّجُومُ بَادِيَةٌ مُشْتَبِكَةٌ.

نعم، وهذا تقدّم، والنجوم بادية مشتبكة، ظاهرة.

نعم.

وَاقْرَأْ فِيهَا بِسُورَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ مِنَ الْـمُفَصَّلِ.

هذا الكلام فيه تقدير، أي: واقرأ فيها بعد أمّ القرآن بسورتين طويلتين من المفصّل، ولم يذكر له الفاتحة، لم يذكرها، لـمَا تقرّر في أنفُس الصّحابة أنه لا تجزئ صلاة لم يُقرأ فيها بأمّ القرآن.

والقرآن فيه سبع طوال، وفيه مئون، وفيه مثاني، وفيه مفصّل.

في الحديث الّذي رواه الشيخان عن واثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: **«أُتيتُ مكان التّوراة السّبعَ، وأُتيتُ مكان الزّبور المئين، وأُتيتُ مكان الإنجيل المثانيَ، وفُضّلتُ بالـمُفصّل».**

السّبع الطّوال هي السّبع السُّوَر الأولى من القرآن: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال والتّوبة باعتبار أنّهما سورة واحدة.

وقال بعض أهل العلم: لا، إنّما السّبع الطّوال هي السّور الست التي ذكرتُ لكم وسورة يونس.

ومنهم من يقول: لا، سابعة السّور الطوال: الكهف.

يعني هي السّور السّتّ الأولى وسورة الكهف.

ثمّ يتلو السّبع الطوال، يتلوها: المئون.

وسُمِّيَتْ مئين لأن آياتها في الغالب إما تجاوز المائة أو تقرب منها فسُمّيت مئين.

ويعقبها المثاني، ما لم تصل المفصّل.

وسُمّيت مثاني لأنها ثَنَتِ المئين، أي جاءت بعدها، فهي لها مثاني، والمئون لها أوائل.

والمفصّل ما بقي.

واختلف العلماء: أين يبدأ المفصّل؟

اعلموا أوّلا أنّ المفصل ثلاثة أقسام: طوال المفصّل، وأواسط المفصّل، وقصار المفصّل.

لكن، من أين يبدأ المفصّل؟

ما أوّل سورة في المفصّل؟

العلماء اختلفوا في هذا على اثني عشر قولا.

الرّاجح عند كثير منهم أنّ المفصّل يبدأ بسورة الحجرات.

فمن الحجرات إلى سورة عبس وتولى هذا طوال المفصّل.

ثم من عبس إلى سورة الضّحى هذا أواسط المفصّل.

والباقي قصار المفصّل.

وقد نظم الشيخ علي الأُجهوري المالكي ذلك بقوله، هذا الرّاجح الذي ذكرناه، بقوله:

أول ســـــورة مـــــن المفصـــــل
الحجـــرات لعَـــبَسْ وهـــو الجـــلي
ومِـــن عَـــبَسْ لســـورة الضـــحى وســـطْ
ومـــا بقـــي قصـــاره بـــلا شـــططْ

وقوله ـ رضي الله عنه ـ: (وَاقْرَأْ فِيهَا) يعني في الصبح (بِسُورَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ مِنَ الْمُفَصَّلِ) لأن الصبح صلاة مشهودة، {إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا}[1] أي: صلاة الفجر، تشهدها الملائكة.

وقد ذكرتُ لكم في الحديث الذي تقدّم أن الملائكة الذين يتعاقبون فينا يأتون في الفجر ويأتون في العصر، فيشهدون الفجر.

فلذلك استُحِبّ تطويلها.

ولذلك كانت صلاة الفجر عند الفقهاء من الصلوات التي يُستحبّ فيها تطويل القراءة.

ولذلك جعل المالكية من فضائل الصّلاة.

الصلاة عندنا كما سيأتي إن شاء الله، لها فرائض، ولها سنن، ولها فضائل.

ومن فضائلها: تطويل القراءة في صلاة الصّبح وصلاة الظّهر.

يقول البشّار:

والطـــول في صـــبح وظهـــر أبـــدا
وفي العِشـــا وسِّـــطْ وقصِّـــرْ مـــا عـــدا

الطّول في الصّبح والظهر، وفي العِشاء يُستحبُّ التوسيط، وقصْر القراءة في العصر والمغرب.

ومَنْ قرأ في الصّبح بطوال المفصّل فقد أخذ بحظه من الحسنيين:

أخذ بحظه من التطويل في القراءة، وأخذ بحظّه من الرّفق بالنّاس.

---

1 ـ الإسراء: 78